

# جامعة محمد بوضياف المسيلة

## كلية الحقوق والعلوم السياسية

### قسم الحقوق

عنوان الدرس:

#### المجتمع الدولي في العصور الحديثة والمعاصرة

أستاذ الدرس: الدكتور عطوي خالد أستاذ محاضر قسم "أ"

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الثانية ليسانس، شعبة - الحقوق

الحجم الساعي: 01 ساعة و 30 دقيقة في الأسبوع

أهداف الدرس: تتمثل أهداف الدرس فيما يلي:

- 1- تعريف الطلبة على تطور المجتمع الدولي في العصور الحديثة.
- 2- تعريف الطلبة على تطور المجتمع الدولي في الفترة المعاصرة.
- 3- تعريف الطلبة على ملامح المجتمع الدولي في العصور الحديثة والمعاصرة
- 4: تعريف الطلبة على التغيرات التي أصابت المجتمع الدولي في العصور الحديثة والمعاصرة

#### ملخص الدرس:

لقد تخلل المجتمع الدولي في العصور الحديثة والمعاصرة أحداث تاريخية مختلفة كان لها الدور الكبير في تحديث تشكيل المجتمع الدولي الذي كان قاصرا في البداية على الدولة الاسلامية و الدول الأوروبية المسيحية ليتحرر من طابعه المسيحي والإسلامي ويتسع ليشمل الكثير من الدول المسيحية غير الأوروبية وغيرها من المنظمات الدولية الإقليمية والعالمية وغيرها من المنظمات غير الحكومية التي كان لها دور كبير في تطور القانون الدولي العام. وعلى العموم تجدر الإشارة إلى أن المجتمع الدولي قد مر بمرحلتين: المرحلة الأولى تبدأ من سقوط الامبراطورية الرومانية الشرقية عام 1453 إلى غاية 1918 تاريخ نهاية الحرب العالمية الأولى (الفرع الأول)، والمرحلة الثانية تمتد في الفترة اللاحقة للحرب العالمية الأولى (الفرع الثاني) .

السنة الجامعية: 2021- 2022

## الفرع الأول:

### المجتمع الدولي الحديث

بدأت العصور الحديثة في المجتمع الدولي في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، أين أرجعها البعض لسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة 1453م، والبعض الآخر إلى سنة 1493 تاريخ وفاة فردريك الثالث آخر أباطرة روما، والبعض إلى سنة 1492 تاريخ سقوط الأندلس، في حين أرجعها البعض الآخر إلى تاريخ تواجد الدولة العثمانية في شمال أفريقيا سنة 1516، وقد انتهت هذه العصور ببداية الحرب العالمية الأولى، ما جعل المجتمع الدولي يشهد فيها جملة من العوامل السياسية والفكرية والاقتصادية التي أثرت فيه بشكل أو بآخر في تطور المجتمع الدولي خلال ثلاثة مراحل متتالية هي: مرحلة التكوين المنظم 1500-1648م (أولا)، ومرحلة التوازن الدولي 1648-1815م (ثانيا)، ومرحلة التحالف الأوربي 1815-1918م (ثالثا)، الأمر الذي جعل هذه العوامل يكون لها أثر بالغ الأهمية في إعادة تكوين الأسرة الدولية بصورة مختلفة عما كانت عليه في العصور الوسطى، وفيها ظهرت قواعد دولية جديدة في حالات السلم والحرب نتيجة زيادة العلاقات التي تمت بين أعضاء المجتمع الدولي (رابعا).

#### أولا:

### مرحلة التكوين المنظم للمجتمع الدولي الحديث

تنحصر مرحلة التكوين المنظم للمجتمع الدولي الحديث في المرحلة الممتدة من 1500 إلى 1648 ميلادي، وفيها شهد المجتمع الدولي ظهور جملة من العوامل التي كان لها دور في تطور المجتمع الدولي، أهمها: ظهور الامبراطورية العثمانية (1)، وزوال الإمبراطورية الجرمانية المقدسة وظهور الدول المستقلة (2)، واتساع رقعة المجتمع الدولي نتيجة الكشوفات الجغرافية (3)، وظهور حركة الإصلاح الديني ومعاهدة واستفاليا (4)، وتدوين أباء القانون الدولي للقواعد الناظمة للمجتمع الدولي (5).

#### 1: ظهور الامبراطورية العثمانية

من العوامل التي ظهرت في مطلع العصور الحديثة ظهور الامبراطورية العثمانية التي تمكنت من إسقاط القسطنطينية عام 1453 ومحت الامبراطورية الرومانية الشرقية من سجلات التاريخ، كما قضت على الوجود الأجنبي في شمال أفريقيا عام 1548، واستطاعت أن تحل وتسيطر على دول ومناطق جديدة في شمال أفريقيا. يمثل ظهور الدولة العثمانية مرحلة جديدة في تاريخ المجتمع الدولي الحديث، كونها أدخلت لأول مرة لتاريخ العلاقات الدولية دولة غير مسيحية في تاريخ العلاقات الدولية، وعضوية الجماعة الدولية، والاستفادة من مزايا القانون العام الأوربي، والتحول في طبيعة الجماعة الدولية لأن الانتماء الإقليمي أو الروحي أو التاريخي لم يعد أساسا للانتماء إلى عضوية هذه الجماعة الدولية، وإنما بات يكمن في مجرد اعتراف الدول القائمة بأن وحدة من الوحدات قد توافرت فيها الشروط التي ترقى بها إلى الانضمام إلى الجماعة الدولية القائمة، وهذا ما جعل الباب العالي يشارك في إدارة المجتمع الدولي، وهذا يعتبر استثناء على القاعدة العامة التي تؤكد سيطرة الدول الأوروبية المسيحية على المسرح الدولي.

#### 2: زوال الإمبراطورية الجرمانية المقدسة وظهور الدول المستقلة

بوفاة فردريك الثالث آخر أباطرة الامبراطورية الجرمانية المقدسة عام 1493 انهارت هذه الامبراطورية وتحطمت سلطتها الدينية، وفقدت هيبتها بين الشعوب الأوروبية، وظهرت حركة إصلاح ديني جديدة أدت إلى تقسيم القارة الأوروبية إلى دول مستقلة تتمتع بالسيادة الكاملة تجاه الدول الأخرى، لأن نهاية العصور الوسطى قد شهدت صراعا مريرا بين الممالك الأوروبية وكل من أمراء الاقطاع والكنسية والإمبراطور، وهو ما أدى في النهاية إلى انتصار تلك الممالك في صراعاتها مع أمراء الاقطاع ورجال الكنسية والأباطرة، وهو ما أدى إلى ظهور علاقات دولية تقوم على أساس

المساواة في السيادة وعدم الخضوع لأية سلطة عليا مثل انجلترا، وفرنسا، وهولندا، واسبانيا والبرتغال. كما أدى ظهور الدول المستقلة إلى ظهور مشاريع توحيد أوروبا في شكل اتحادي، كمشروع الوزير سولي (1560-1641)، ومشروع الراهب أمريك كروسية (1590-1648)، وهذا ما مهد الطريق أمام تكوين اتحاد أوربي من أجل محاربة الدولة الإسلامية، خاصة في القرون التي شهدت فيها الحضارة الأوروبية انحطاطا كبيرا، وما كتاب الأرض المقدسة للمفكر السياسي دوبا إلا خير شاهد على ذلك.

### 3: الكشوفات الجغرافية الكبرى

لقد كان للكشوفات الجغرافية الكبرى التي حققها دياز في الابحار حول رأس الرجاء الصالح عام 1468، واكتشاف كريستوف كولمب لجزر الباهاماس عام 1468 والقارة الأمريكية عام 1492 أثر كبير في اتساع رقعة المجتمع الدولي، وبداية التنافس الأوربي على المستعمرات، وظهور قواعد دولية مستحدثة تتعلق بتنظيم الملاحة وحرية البحار والتجارة الدولية مع البلاد المكتشفة حديثا، وهذا ما جعل الاكتشافات الكبرى، ما هي إلا مرحلة أولى للاستعمار الذي خرج يبحث عن المواد الأولية والأسواق الخارجية لتحقيق التراكم الرأسمالي الكبير، إلى جانب ذلك فقد أثرت الكشوفات الجغرافية في القانون الدولي العام في مجال اكتساب السيادة الإقليمية، وطرح فكرة اعالي البحار.

### 4: حركة الإصلاح الديني ومعاهدة واستفاليا

لقد كان لتعاليم مارتن لوتر، وكالفن وجون بودان الداعية للثورة ضد فساد الكنيسة الكاثوليكية في روما وتعسفها في استخدام سلطتها أثر مباشر في ظهور حركة اصلاح دينية تطالب بإصلاح المسيحية وتدعو إلى فصل الدين عن السياسة، وهكذا انقسمت الدول الأوروبية إلى دول موالية للكنيسة تدافع على مصالحها، وتعمل على ابقاء وحدتها المسيحية الكاثوليكية، وفي مقابل ذلك ظهرت دول أخرى بروتستانتية تدافع في سبيل الحرية الدينية والاستقلال عن النفوذ الكنسي، وهذا ما أدى إلى دخول الفريقان في حروب دينية متواصلة منذ عام 1517 كان اخطرها حرب الثلاثين عاما الممتدة من 1618 إلى 1648 والتي انتهت ابرام معاهدة واستفاليا في 24 أكتوبر 1648 التي يعتبرها الكثير من المؤرخين بداية للمجتمع الدولي الحديث.

### 5: تدوين فقهاء القانون للقواعد الناعمة للمجتمع الدولي

لقد لعب الفقه دورا أساسيا وبارزا في نشأة القانون الدولي التقليدي وارساء قواعده على أساس القانون الطبيعي أو على أساس المعاهدات والعرف الدولي، أو على أساس القانون الطبيعي وإرادة الدولة معا، لأن كتابات الفقهاء والمفكرين في تلك الحقبة ككتابات فيتوريا (1480-1548)، و سواريز (1548-1617)، و جنتليس (1552-1608)، و ميكافيلي (1467-1527)، و جروسيوس (1583-1645) قد عالجت المشاكل الدولية التي نتجت من الأوضاع الجديدة للمجتمع الدولي في أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا بعد اكتشافها وهو ما أدى بهؤلاء الكتاب بالدعوة إلى ضرورة التعاون والتضامن بين الدول

ثانيا:

### مرحلة التوازن الدولي للمجتمع الدولي الحديث

تمتد مرحلة التوازن الأوربي من سنة 1648 تاريخ ابرام معاهدة واستفاليا إلى غاية 1815 تاريخ ابرام مؤتمر فيينا، وفيها شهد المجتمع الدولي العديد من العوامل المؤثرة فيه، كمعاهدة واستفاليا 1648 (1)، و معاهدة اكس لاشابيل 1668 وغيرها من المعاهدات الأخرى الداعية لإعادة التوازن الأوربي (2)، كما شهدت هذه المرحلة العديد من الثورات الراضية للاستبداد: كالثورة الأمريكية (3)، و الثورة الفرنسية (4).

### 1: دور معاهدة واستفاليا في تطور المجتمع الدولي الحديث

تعتبر معاهدة واستفاليا المبرمة سنة 1648 منعظا مهما في مسار تطور المجتمع الدولي الحديث، لكونها أنهت النزاع المسلح الذي دار بين الدول الكاثوليكية والدول البروتستانتية في الحرب التي دامت بين 1618 و 1648، وهذا ما

جعلها أول معاهدة سلام بين الدول الأوروبية التي تعهدت فيها الدول المتعاقدة على إنهاء الحرب، وإقامة العلاقات الودية، كما أرسيت هذه المعاهدة التي اعتبرها البعض إيذاناً بميلاد الدولة الحديثة وبدء تكوين المجتمع الدولي الحديث، جملة من المبادئ الأخرى هي:

أ- إنهاء سلطة البابا في جانبها الزمني والبقاء عليها في نطاقها الديني، وتكريس مبدأ الحريات الدينية؛  
ب- الاعتراف بانحلال الامبراطورية الجرمانية المقدسة وتقسيمها إلى دويلات قومية، وإقرار مبدأ المساواة في السيادة بين الدول ذات الأنظمة الملكية والجمهورية بغض النظر عن عقيدتها الدينية بروتستانتية كانت أو كاثوليكية؛ وهذا معناه أن معاهدة واستفاليا قد استندت إلى فكرة المساواة في السيادة بدلاً من رابطة الوحدة الدينية التي عمرت في أوروبا لقرون طويلة؛

ت- إنشاء السفارات الدائمة بدلاً من السفارات المؤقتة بين الدول الأوروبية فقط، وهذا ما يعرف في تاريخ العلاقات الدبلوماسية بمبدأ الدبلوماسية الجزئية؛

ث- إبرام المعاهدات الدولية الجماعية على أساس مبدأ التراضي، والتسليم بالالتزامات الناشئة عنها؛  
ج- إقرار مبدأ التوازن الدولي وعدم السماح لأية دولة من الدول الأوروبية بالتوسع على حساب الدول الأخرى التي يكون لها حق التكتل ضد هذه الدولة من أجل منعها من التوسع والمحافظة على التوازن الدولي، وهذا ما يجعل مبدأ التوازن الدولي يقتضي المشاركة في العلاقات الدولية والاعتراف بتضامن الدول الأوروبية، وبوجوب الاجتماع الدائم والتشاور المستمر لمعالجة القضايا الداخلية، وهذا ما أدى إلى بروز فكرة المجتمع الدولي الأوربي الذي يضم كل الدول الأوروبية، وقد حصل هذا التوازن عندما تكتلت الدول الأوروبية ضد لويس الرابع عشر الذي حاول أن يتوسع على حساب الدول المجاورة متجاوزاً بذلك سياسة التوازن الدولي.

## 2: دور معاهدة إكس لاشابيل في إعادة توازن المجتمع الأوربي

لقد أعقب معاهدات صلح واستفاليا الكثير من الصراعات والحروب، وهذا ما أدى بالدول الأوروبية إلى عقد معاهدات لاحقة من أجل إعادة توازن القوى كمحاولة لتحقيق الأمن والسلام في القارة الأوروبية، وكان من هذه المعاهدات معاهدة اكس لاشابيل عام 1668، ومعاهدة نيمجنن عام 1678، ومعاهدة أوترخت عام 1713 التي قضت على فكرة لويس الرابع عشر الداعية إلى توحيد عرش فرنسا وإسبانيا حتى لا يختل ميزان القوى مع الدول الأوروبية الأخرى، لأن لويس الرابع عشر كان يطمح إلى تحطيم عائلة الهابسبرغ في النمسا وإسبانيا والتوسع داخل أوروبا، وفعلاً خاض ثلاثة حروب أساسية وفي الحرب الرابعة المعروفة بحرب الوراثة الإسبانية ما بين (1702 - 1714) حاول لويس الرابع عشر أن ينصب عائلة البوربون على التاج الإسباني، غير أن معظم الدول الأوروبية مثل السويد وإسبانيا والنمسا وهولندا وبروسيا والبرتغال قد تحالفت ضده، وهكذا عقدت معاهدة أوترخت من أجل وضع حد لحرب خلافة العرش الإسباني.

لقد أظهرت معاهدات واستفاليا مبدأ التوازن الذي كان يحايي النمسا على حساب فرنسا لأنه كان يهدف إلى تجنب النتائج الخطيرة لتعديل ميزان القوى الذي قد ينشأ عن توسع دولة على حساب دول أخرى، في حين أن معاهدة أوترخت قد نهجت سياسة معاكسة تقوم على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية، كما تضمنت هذه المعاهدة أحكاماً خاصة بحقوق المحايدين، وهذه المبادئ مستمدة من التجارب، لا من المذاهب، ولذلك كانت تتعرض لتفسيرات شتى تعطيها الحكومات المعنية

## 3: دور الثورة الأمريكية في تطور المجتمع الدولي الحديث

اندلعت الثورة الأمريكية سنة 1776 ضد التاج البريطاني بسبب مشكلة التمثيل غير الممنوح للأمريكان في البرلمان البريطاني، لذلك رفعوا شعار "لا تمثيل لا ضرائب"؛ ليتطور الأمر إلى قيام ثورة ضد التاج البريطاني انتهت بانتصار الثوار الأمريكيين، وقد تبع ذلك إعلان الاستقلال في 01 جويلية 1776م، وفي سنة 1787 اجتمعت 13 ولاية في

فيلادلفيا لوضع دستور الدولة الفيدرالية، إلا أن الجنوب تمرد على الشمال وطالب بنظام كونفدرالي، وهو ما أدى إلى نشوب حرب أهلية بين الشمال والجنوب عادت الكلمة فيها للشمال، حيث وضعت دستورا لدولة فيدرالية تسمى بالولايات المتحدة الأمريكية

تبدو أهمية الثورة الأمريكية في كونها أسفرت عن وجود دولة غير مسيحية غير أوروبية انضمت إلى مجال العلاقات الدولية، كما تكمن أهميتها في كونها أدت إلى ثورة المستعمرات الإسبانية في أمريكا اللاتينية باعتبارها كانت تمثل نموذجا للإصلاح وتشجيعا للأمانى الوطنية، غير أن تدخل الدول الأوروبية وتهديداتها في أمريكا اللاتينية قد جعلت من المنطقة مسرحا للصراع والتنافس فيما بينها، الأمر الذي دفع الرئيس الأمريكي إلى إعلان تصريحه الشهير سنة 1823 الداعي إلى عدم التدخل في أي جزء من أجزاء القارة الأمريكية، لأن ذلك يعتبر خطرا على سلام وأمن الولايات المتحدة الأمريكية.

#### 4: دور الثورة الفرنسية في تطور المجتمع الدولي الحديث

الثورة الفرنسية حدث تاريخي مهم، وتحولات سياسية واجتماعية لفرنسا خاصة، ولأوروبا عامة وللعالم كله، وهي ثورة تعود أسبابها إلى لثورة الكادحين المحرومين من أي امتيازات بسبب هيمنة الاقطاعية، ويرجع بعضهم هذه الثورة إلى حالة الافلاس التي كانت عليها خزانة الدولة بسبب حروب القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقصور النظام الضريبي وظلمه، والاسراف والبذخ، والتدخل في الشأن الأمريكي، مما جعل لويس السادس عشر يدعو مجلس طبقات الأمة للموافقة على الاصلاحات الضريبية المهمة فاشتعلت شرارة الثورة بانضمام كثير من رجال الدين شبه المنبوذين، وقليل من الشرفاء إلى نواب البروليتارية الكادحة، وطالبوا بإصلاحات سياسية واجتماعية كبرى، وأقسموا ان لا ينفضوا حتى يضعوا دستورا للبلاد، وهو ما مكنه من إصدار اعلان حقوق الانسان والمواطن سنة 1789 الذي أقر المبادئ التالية:

- أ- الاعتراف بالحريات الأساسية والحقوق العامة التي يتمتع بها الإنسان كفرد من أفراد المجتمع،
- ب- التأكيد على أن السيادة ملك للشعب والأمة، يمارسها عن طريق النواب
- ت- إقرار مبدأ تقرير المصير، تمكينا للشعوب من تكوين دولة على هذا الأساس
- ث- الحروب غير الدفاعية تعتبر حروب عدوانية، مهما كان سببها و أهدافها
- ج- عدم مشروعية تدخل دولة في شؤون دولة أخرى، ومبدأ السيادة الإقليمية.

#### ثالثا:

#### مرحلة التحالف الاوربي للمجتمع الدولي الحديث

تمتد مرحلة التحالفات الأوروبية من سنة 1815 تاريخ ابرام مؤتمر فيينا وتنتهي سنة 1918 تاريخ نهاية الحرب العالمية الأولى، وفيها شهد المجتمع الدولي نوعين من التحالفات، النوع الاول منها خاص بالتحالفات الأمنية للدول الأوروبية(1)، والنوع الثاني منها خاص بالتحالفات غير الأمنية(2).

#### 1: التحالفات الأمنية للمجتمع الدولي الحديث

يقصد بالتحالفات السياسية والأمنية تلك التحالفات التي تمت في مؤتمر فيينا (جوان 1814- جوان 1815) (أ)، و التحالف المقدس المبرم في 26 سبتمبر 1815(ب)، والوفاق الأوربي المبرم في 20 نوفمبر 1815 والذي تم تدعيمه من خلال عدد من المؤتمرات كمؤتمر باريس 1856 ومؤتمر برلين 1878(ت).

#### أ: مؤتمر فيينا جوان 1814- جوان 1815

لم تحترم فرنسا مبادئ الثورة الفرنسية لأن بعد وصول نابليون للسلطة بدأ حروبه المشهورة التي قضت على دول بأكملها وغيّرت من خريطة أوروبا، وهو ما دفع كل من النمسا وانجلترا وروسيا للتكتل من جديد ضد هذا القائد الفرنسي في 09 مارس 1814 في معاهدة شومان، التي اتفقوا فيها على تحالف مدته عشرون عاما، اتفقوا فيه على

توحيد جهودهم لتعقب نابليون في أوروبا حتى داخل الأراضي الفرنسية من أجل اسقاطه، وهو ما مكّنها من هزيمته، واكتفوا بنفيه إلى جزيرة ألبا، إلا أنه اغتنم فرصة مكنته من الهروب، ونظم جيشا لمجابهة الدول المتحالفة، التي أعلن عليها الحرب، ولكن هذه الدول تصدت له وسحقت جيوشه في معركة واترلو سنة 1815، وقامت بنفيه مرة أخرى إلى جزيرة سانت هيلانة، وأصدرت قرارا في 27 مارس 1815 بحرمانه من حقوقه المدنية والسياسية، وفي 30 مارس 1815 أبرمت معاهدة التضامن للدفاع والهجوم ضد نابليون، وهكذا اجتمعت الدول الأوروبية بعد هزيمة نابليون في شكل مؤتمر في فيينا لإعادة النظر في التوازن الأوروبي الذي أنهى بسبب حروب نابليون، وقد عقد هذا المؤتمر جلسات عديدة بدأت في شهر سبتمبر 1814 وانتهت في جوان 1815، ومن أهم المسائل التي تضمنها ما يلي: - تنظيم التوازن الأوروبي؛

- تقرير عدم الاعتراف بغير الملكيات الشرعية في بروسيا والنمسا؛
- وضع سويسرا في حياد دائم؛
- الحاق بلجيكا بالأراضي المنخفضة الهولندية؛
- ظهور الاتحاد الحقيقي بين السويد والنرويج؛
- الاعتراف بتجزئة بولونيا بين روسيا وبروسيا والنمسا؛
- وضع بعض القواعد الخاصة بحرية الملاحة في الأنهار الدولية. وتحريم الاتجار بالرقيق، وتنظيم البعثات الدبلوماسية.

#### ب: التحالف الأوروبي المقدس

هي معاهدة عقدها كل من قيصر روسيا وملكا النمسا وبروسيا بموافقة إنجلترا في 16 سبتمبر 1815 لضمان تنفيذ القرارات التي خرج بها مؤتمر فيينا، وتجنب أي مفاجأة في المستقبل، ولذلك شكلت حلفا فيما بينها كان الغرض منه السعي لقمع الحركات الثورية والحفاظ على العروش، بالإضافة إلى المحافظة على الأوضاع الإقليمية في القارة و قد انضمت إلى هذا الحلف فيما بعد دول أخرى مثل فرنسا سنة 1818، وأصبحت هذه الدول الخمسة تتولى الزعامة الأوروبية وأعطت لنفسها حق التدخل في جميع النزاعات السياسية والدفاع على نظام الملكية في القارة الأوروبية، كما انضمت إلى هذا التحالف فيما بعد كل من إيطاليا وتركيا سنة 1856، و السويد والنرويج وإسبانيا والبرتغال وهولندا والدانمارك.

والصفة المميزة لهذا التحالف هو استمرار اجتماعات الحلف لحل القضايا الدولية، لكنه لم يتخذ صفة المنظمة الدولية، لأنه حافظ على صفة المؤتمرات الدبلوماسية التي كانت تنعقد حسب الحاجة، والتي لم تكن تضم دوما ذات الدول وإنما فقط الدول التي تهتم بالموضوع المطروح على بساط البحث، وهكذا بدا هذا التحالف كممثل لوحدة دول أوروبا الكبرى في مجال المحافظة على النظام في المجتمع الأوروبي، وكذلك صيانة استقلال الدول في مواجهة الثورات الداخلية وقوى الهيمنة الخارجية

لم يحقق التحالف المقدس هدفه في الحفاظ على النظم الملكية، حيث تغيرت الأوضاع بعدما قامت الثورة في بلجيكا سنة 1830 وحققت استقلالها سنة 1831، وسقطت الملكية الفرنسية لنابليون الثالث وأقيم الحكم الجمهوري في 14 سبتمبر 1870، كما تمت الوحدة الإيطالية، والوحدة الألمانية (1860-1870)

#### ت: الوفاق الأوروبي

أبرمت معاهدة الوفاق الأوروبي في 20 نوفمبر 1815 بين كل من روسيا وبروسيا والنمسا وإنجلترا من أجل الحفاظ على السلام في أوروبا واستخدام القوة لمعالجة المشكلات الأوروبية لإقرار السلام، ويعكس هذا الدور قيام دول الوفاق بتفتيت الدولة العثمانية خلال الفترة 1825-1918، فقد اتفقت فرنسا وإنجلترا وروسيا في لندن على مساعدة اليونانيين ضد الأتراك، وهكذا خضعت تركيا لضغوط دول الحلف وتخلت عن نفوذها في أوروبا الشرقية، فاستقلت

تبعاً لذلك دول كثيرة كاليونان، ورومانيا، وبلغاريا وألبانيا، ومونتينيغرو، وصربيا خلال الفترة الممتدة بين 1827 و 1913، من خلال مؤتمر باريس 1856 الذي كرس فكرة تفكيك الدولة العثمانية واستقلال إمارة الصرب، و مؤتمر برلين 1878 الذي قرر استقلال الصرب، و منتينيغروا، ورومانيا، كما قرر نظام الإمارات لبلغاريا.

## 2: التحالفات غير الأمنية للمجتمع الدولي الحديث

تنقسم التحالفات غير الأمنية إلى قسمين قسم خاص بالتحالفات القانونية التي تمت في مؤتمري لاهاي 1899 و 1907 والتي أقرت مبدأ تقنين قواعد القانون الدولي، وارساء مبدأ الدبلوماسية الجماعية في وقت السلم، وكذا صياغة إجراءات حل المنازعات الدولية سلمياً. والقسم الثاني خاص بتحالفات التعاون الدولي في المجالات غير السياسية كتلك التحالفات التي انشئت في أوائل القرن التاسع عشر في مجالات التعاون الدولي المختلفة، كاتحادات اللجان الخاصة بتنظيم الملاحة في الأنهار الدولية، وكذا الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية 1865، واتحاد البريد العالمي 1874، والاتحاد الدولي للأرصاد 1878، واتحاد الخطوط الحديدية، ومنظمة العمل الدولية، وذلك بالإضافة إلى اللجان الصحية واللجان المالية التي أنشأتها الدول الأوروبية من أجل التعاون وتنظيم شؤون القارة الأوروبية، وتعد كل هذه التنظيمات تمهيدا لقيام المنظمات الدولية العالمية والاقليمية الحديثة التي بدأت بأثناء عصبة الأمم وغيرها من المنظمات الدولية والوكالات المتخصصة التي ظهرت في القرن العشرين،

### رابعاً:

## خصائص المجتمع الدولي الحديث

لقد تميز المجتمع الدولي الحديث الذي ظهر خلال الفترة الممتدة من 1500 إلى 1914 م بجملة من الخصائص المتمثلة أساساً في: التوسع التدريجي لنطاقه الجغرافي(1)، وتعدد فواعله وتجانسها(2)، محدودية قواعده، وتنوع علاقاته الدولية بين السلم والحرب والتعاون(3).

## 1: التوسع التدريجي للنطاق الجغرافي للمجتمع الدولي الحديث

لقد اقتصر المجتمع الدولي الحديث في عصوره الأولى على الدول الأوروبية، الأمر الذي جعل البعض يصفه بأنه مجتمع أوروبي، لأنه حتى مطلع القرن التاسع عشر كانت هناك أجزاء عديدة من العالم لم تأخذ دورها على مسرح الحياة الدولية، ففي أفريقيا لم تكن الأجزاء المعروفة فيها حتى سنة 1815 سوى الأجزاء الواقعة على البحر المتوسط، ومنذ بداية القرن التاسع عشر شدت أفريقيا انتباه الدول الأوروبية فسارعت إلى استعمارها وتوزيعها إلى مناطق نفوذ، وبالنسبة للشرق الأقصى كانت هناك شبه عزلة تفصل دوله عن دول أوروبا والشرق الأوسط، غير أنه منذ مطلع القرن التاسع عشر بدأ اهتمام دول أوروبا بدول الشرق الأقصى يتزايد يوماً بعد يوم، وهذا هو الأمر الذي يؤكد أن المجتمع الدولي في العصر الحديث قد تكون في بادئ الأمر من الدول المستقلة ذات السيادة، واقتصر الأمر في البداية على الدول الأوروبية المسيحية، ثم اتسع المجال لانضمام دول قارة أمريكا المسيحية غير الأوروبية، ثم اعترف بحق دخول دول غير مسيحية إلى المجتمع الدولي كالصين سنة 1844، واليابان سنة 1853، وتركيا سنة 1856، وهكذا فتح الباب فيما بعد أمام كل الدول المستقلة، وهذا يعتبر نتيجة لطبيعة العلاقات الدولية التي كانت قاصرة في البداية على الدول الأوروبية المسيحية، لتمتد بعد ذلك إلى مجموعة كبيرة في أمريكا وأسيا وأفريقيا.

## 2: تجانس فواعل المجتمع الدولي الحديث وتعددتها

يقصد بفواعل المجتمع الدولي الحديث: نوعين من الكيانات السياسية التي عرفها المجتمع في الفترة الممتدة من 1500 إلى 1914، النوع الأول يتجلى في الدول بمختلف أشكالها ونظمها ودياناتها (أ)، أما النوع الثاني فيتجلى في اللجان والاتحادات الدولية التي لم تكن تتمتع بالشخصية القانونية (ب).

أ: ظهور الدولة كفاعل أساسي في المجتمع الدولي الحديث

لقد عرفت الدولة كفاعل أساسي في المجتمع الدولي الحديث مرحلتين متتاليتين هما: مرحلة الدولة الأوروبية المسيحية، ومرحلة ولادة الدولة القومية:

مرحلة الدولة الأوروبية المسيحية: هي مرحلة سابقة على ولادة الدولة القومية، و فيها قال فقهاء القانون الدولي في أوروبا وعلى رأسهم الفقيه الانجليزي لورانس بأن المجتمع الدولي في هذه المرحلة كان يتكون من الدول الأوروبية المتحضرة فقط، أما الدول الأخرى فلا تقبل عضويتها إلا إذا اعترفت بها الدول المتحضرة، ما جعل عضوية المجتمع الدولي فيها تقتصر فقط على الدول الأوروبية الرأسمالية ذات الطابع المسيحي، وهذا ما جعلها تتميز بتجانس كبير من حيث طابعها الغربي المسيحي، ونظامها الاقتصادي القائم على ملكية وسائل الانتاج، ما جعل العلاقات الدولية في تلك الفترة موجهة في مجملها لصالح الدول الغربية والنظام الرأسمالي.

مرحلة الدولة القومية: هي مرحلة كرستها معاهدة واستفاليا لسنة 1648 التي فرضت على دول أوروبا الالتزام بأطر السلام وإقامة العلاقات الودية بين الدول القومية ذات السيادة، ما جعل الدولة القومية ذات السيادة في هذه المرحلة هي القوة الفاعلة التمثيلية الأساسية في المجتمع الدولي، بحيث لا تشمل أي نوع من الهيئات والجماعات التي لا تتوافر لها مقومات الدول وخصائصها مهما كان دورها في المجتمع الدولي وعلى هذا الأساس أصبحت الدولة القومية الكيان الذي يولد عن ارادة الشعب، ما يعطي لكل أمة الحق في تقرير مصيرها على أسس قومية، كما حصل ذلك لإنجلترا التي أكملت كيانها القومي سنة 1688، والولايات المتحدة الأمريكية التي شهدت استقلالها سنة 1776، وفرنسا التي نجت في ثورتها سنة 1789، واليونان التي استقلت عن الباب العالي سنة 1830، وبلجيكا التي انفصلت على هولندا سنة 1831، وألمانيا التي توحدت سنة 1871، ورومانيا وصربيا وبلغاريا التي استقلت سنة 1878، الأمر الذي جعل مبدأ القومية يلعب دورا أساسيا في تكوين وحدات سياسية مستقلة تختار فيها شعوبها نظام حكمها الذي ترتضيه بكل حرية، فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا قد جاءت بشكل مستحدث من أشكال الدول غريب على ذوق القارة الأوروبية التي كانت قائمة في شكل اتحادات شخصية قائمة على أساس توارث العرش، بينما جاءت الولايات المتحدة في شكل اتحاد فيدرالي، كما قامت الدول القومية على مبادئ مناهضة الاستعمار على عكس الدول الأوروبية التي سعت إلى تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ

### ب: ظهور الاتحادات واللجان الدولية كفاعل أساسي في المجتمع الدولي الحديث

عرف المجتمع الدولي في العصر الحديث علاوة على الدولة وجود بعض الاتحادات واللجان الدولية التي كان لها دور كبير في توطيد العلاقات الدولية، وإن لم تكن لها شخصية قانونية دولية أو عمل منظم، إلا أنها كانت تمثل صورة من صور التعايش بين الدول، وإدارة لتحقيق التعاون بينها.

### 3: خصائص قانون المجتمع الدولي الحديث

تميز قانون المجتمع الدولي الحديث بمحدودية موضوعاته (أ)، واهتمامه بالدولة (ب)، وتأثره بالطابع الأوروبي المسيحي (ت)، وبالأفكار الميثالية (ث)، وتعدد مصادره الشكلية (ج)، القائمة على التراضي (ح).

#### أ: محدودية موضوعات قانون المجتمع الدولي الحديث

لم تعالج قواعد المجتمع الدولي الحديث جميع مجالات الحياة وميادين العلاقات الدولية؛ بل ركزت بدرجة كبيرة على مبدأ سيادة الدول والتسليم بحقها في شن الحرب، وشرعية نظام الاستعمار، والتركيز على العلاقات الدبلوماسية لتأمين السلام الدائم، ولذلك كان قانون المجتمع الدولي الحديث يهتم كثيرا بما يسمى بتحديد الصلاحيات والسلطات في حالات السلم والحرب، وهذا ما جعل قواعده محدودة المضمون لكونها لم تشمل جميع الميادين بل ركزت بدرجة أساسية على العلاقات الدبلوماسية من أجل تأمين السلام الدائم، وهذا هو ما جعلها تختلف عن قواعد القانون الدولي المعاصر التي عالجت الكثير من الموضوعات الانسانية في حالات السلم والحرب.

#### ب: اهتمام قواعد القانون الدولي الحديث بالدولة



اتسم القانون الدولي التقليدي للمجتمع الحديث بقلّة عدد أعضائه، وغياب التنظيم الدولي له، من خلال إقامة أجهزة تعمل على التنسيق بين سياسات الدول الأعضاء، وتحقيق التعاون الاختياري بينها، في مجالات محدودة، ولتكون بمثابة الهيكل التنظيمي للمجتمع الدولي، وفوق ذلك فقد حصر القانون الدولي اهتمامه بالدولة، فكان قانونا للعلاقات بين الدول، لا مجال في قواعده للاهتمام بالفرد داخل الدولة، أو بالجماعات التي لا تملك الشكل القانوني المعروف بالدولة، وانصرف الاهتمام فيه إلى تأمين الالتزام بعدد من القواعد، دون الاهتمام بمضمون تلك القواعد من وجهة نظر العدالة، حتى ذهب البعض إلى القول بأن طابعه الرئيسي كان يتجه نحو إقامة نوع من النظام الدولي دون الاهتمام بتحقيق العدالة.

#### ت: تأثير قواعد القانون الدولي المنظمة للمجتمع الدولي الحديث بالطابع الأوربي المسيحي

رغم أن قواعد القانون الدولي للمجتمع الحديث قد سمحت عام 1856 بالتعامل مع الدولة العثمانية كشخص دولي له حقوق وعليه التزامات بموجب القواعد الدولية، شأنها في ذلك شأن معاهدة واستفاليا التي قضت على السلطة الدينية والبابوية، وأقرت مبدأ المساواة بين الدول الأوروبية، وتدوين الالتزامات الدولية التي تبرمها الدول، إلا أن الطابع الأوربي المسيحي ظل مسيطرًا سيطرة تامة على تشكيل قواعد القانون الدولي، الأمر الذي جعل هذه المرحلة من مراحل تطور المجتمع الدولي تنتهي بسيطرة القواعد الدولية الأوروبية في نشأتها وتكوينها على تشكيل قواعد القانون الدولي، وهذا ما جعلها تؤثر في نشوب الحرب العالمية الأولى ثم تأسيس عصبة الأمم، وبات من المسلم به أنذاك خضوع الدول للقواعد الدولية بغض النظر عن اعتبارات الدين أو الجنس أو الانتماء الحضاري، ورغم التطور السريع للأحداث الدولية، إلا أن القواعد الدولية مازالت متأثرة- حتى الآن- بفكر تلك المرحلة سيما وأن الدول التي تنتهي للحضارة الأوروبية مازالت مهيمنة على مقادير السياسة الدولية حتى يومنا هذا.

#### ث: تأثير قواعد القانون الدولي المنظمة للمجتمع الدولي الحديث بأفكار المدرسة الميثالية

إن النزاع التقليدي بين الأفكار الميثالية التي جاء بها دوبوا، وسولي، وكروسية، وبنتام، ووليام بان قد كتبت فيها الغلبة والتفوق منذ القرن التاسع لغاية انتهاء الحرب العالمية الثانية على الأفكار الواقعية، ولا شك أن هذا التفوق قد املته بعض العوامل مثل: عدم تقبل المجتمع الغربي خلال الفترة الممتدة من 1815 إلى 1939 لأفكار المدرسة الواقعية التي كانت تتعارض كثيرًا مع أفكار ومنهج الكنيسة، خاصة فكرة حتمية حدوث الوقائع بعيدا عن إرادة الانسان، وفكرة القوة تصنع الحق، وفكرة صدارة السياسة على الأخلاق، والعدالة هي القوة، الأمر الذي جعل القرن التاسع عشر ينتهي بانتصار الأفكار الميثالية، التي تركت بصمتها الجلية على تشكيل القواعد القانونية، سيما وقد أصبح للشعوب حينئذ صوت مسموع، وتكون رأي عام استهدف التأثير على توجيه السياسة الدولية. كما اتسعت أهمية المبادئ التي أوضحت ملامح القواعد الدولية خلال تلك الحقبة كما هو الشأن في تولي الشعوب تقرير مصيرها، والقواعد الانسانية أثناء النزاعات المسلحة، فضلا عن مبدأ المساواة بين الدول كبيرها وصغيرها.

#### ج: تعدد مصادر قانون المجتمع الدولي الحديث

في المجتمع الدولي الحديث انصرف الاهتمام إلى تنظيم العلاقات الدولية من خلال المعاهدات الثنائية، أو ذات الأطراف المحدودة، وبقيت القواعد العامة محدودة العدد، تصطبغ غالبا بالطابع العرفي، فيما عدا ذلك العدد المحدود من المعاهدات الجماعية الشارعة التي كانت تنصرف أساسا إلى تنظيم المسائل المتعلقة بالحرب أو تسوية المنازعات الدولية عن طريق التحكيم، وهكذا ظلت فكرة المجتمع الدولي بعيدة عن الميدان بسبب عدم توافر مقوماتها الأساسية، في وسط يقوم على المغالاة في تقديس مبدأ سيادة الدولة، وعدم المساس بها بأي شكل من الأشكال بمبدأ سلطتها المطلق على إقليمها. وعلى السماح باستخدام القوة بغير حد، لقهر إرادة الخصوم، وعلى النظر إلى الأقاليم التي لم ترق إلى مرتبة الدولة بوصفها مجالا لمباشرة النشاط الاستعماري المحموم الذي بلغ ذروته في

القرن التاسع عشر، والذي حفز للجماعة الأوروبية على تنظيمه في معاهدة خاصة هي معاهدة بروكسل 1875، وهو ما سمح لعدد محدود من الدول الاستعمارية بنهب ثروات الاقاليم والتسلط على مقدرات شعوبها. لقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر استقرارا وازدهارا في قواعد القانون الدولي، التي بات يضاف إليها وصف العام خاصة في فرنسا، لتمييزها عن قواعد القانون الدولي الخاص، كما كثرت في هذا القرن الكتابات الفقهية، وتعددت المعاهدات الدولية التي بدأ الطابع المسيحي يزول عنها، ما جعلها تساهم في تكوين عدد من القواعد العرفية المقبولة بصفة عامة.

#### خ: رضائية قانون المجتمع الدولي الحديث

تظهر الصفة الرضائية لقواعد قانون المجتمع الدولي الحديث في قواعد القانون التي ظهرت على يد رواد القانون الدولي مثل: ميكافيلي، وفيتوريا، وسواريز، وجروسيوس، والتي كشفت على وجود عدد من المبادئ أهمها مبدأ المساواة في السيادة، وأن مصادر هذا القانون تكمن في إرادة الدول ورؤاها بطريقة صريحة من خلال المعاهدات، أو بطريقة ضمنية من خلال العرف. كما تظهر رضائية قواعد هذا القانون في اعتبار معاهدة واستفاليا أول معاهدة دولية أعدتها الدول ذات السيادة بمحض إرادتها، سواء كانت جمهورية أو ملكية أو كانت كاثوليكية أو بروتستانتية.

#### الفرع الثاني

##### المجتمع الدولي المعاصر

بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية التي راح ضحيتها ملايين من البشر، حدثت تطورات دولية كبيرة أدت إلى تنظيم المجتمع الدولي المعاصر الذي اختلف الدارسون حول تاريخ بدايته، فأرجعه جانب أول إلى سنة 1914 تاريخ بداية الحرب العالمية الأولى، كما أرجعه جانب ثاني إلى الفترة الممتدة بعد الحرب العالمية الأولى أين تطور هذا المجتمع تطورا ملحوظا، في حين أرجعه جانب ثالث إلى الفترة الممتدة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، والحق أن الحرب العالمية الأولى هي مرحلة من مراحل تطور المجتمع الدولي الحديث الذي عرفت فيه القارة الأوروبية الكثير من الصراعات المتعلقة بالتنافس على المستعمرات، لأنه في 28 جويلية 1914 أعلنت النمسا حربها في هذا الإطار ضد الصرب، ثم أخذت الدول الأخرى تدخل الحرب واحدة تلو الأخرى، حتى أصبحت دائرة بين فريقين هما: فريق حلفاء صربيا وفريق حلفاء النمسا، وفي سنة 1919 وضعت هذه الحرب أوزارها إثر التوقيع على جملة من معاهدات الصلح وإنشاء عصبة الأمم، ما جعل القانون الدولي يعرف تطورا سريع الايقاع، متعدد الأبعاد، الأمر الذي جعل المجتمع الدولي المعاصر يظهر في الفترة الممتدة بعد الحرب العالمية الأولى التي كان لمخلفاتها ونتائجها تأثير كبير في اكتمال صورة المجتمع الدولي المعاصر، الذي مر بمرحلتين مهمتين هما: مرحلة الكمال في تطور المجتمع الدولي المعاصر (أولا)، ومرحلة الأمر الواقع الذي فرضه النظام العالمي الجديد (ثانيا).

#### أولا:

##### كمال المجتمع الدولي المعاصر

إن مرحلة اكتمال المجتمع الدولي المعاصر هي المرحلة الممتدة - حسب رأينا الخاص - بين سنتي 1918 و 1990، و هي مرحلة شهد فيها المجتمع الدولي المعاصر تغيرات جذرية كان أبرزها الثورة الاشتراكية وانفجار أول قنبلة، وقيام الأمم المتحدة، وعود الانسان إلى الفضاء الخارجي، ولهذا سمي هذا العصر، بعصر الذرة، وعصر الفضاء، وعصر التكنولوجيا، وعصر التخصص، وعصر القومية، وعصر الحروب العالمية، وعصر الثورات، وعصر الديمقراطية، وعصر الايديولوجيات، وعصر الشركات المتعددة الجنسيات، وعصر المنظمات الدولية، وعصر السرعة، وعصر الطفولة، وعصر التيسيس.

توجد هناك عدة مؤشرات كثيرة تدل على اكتمال المجتمع الدولي المعاصر منها: تنوع فواعله (1)، وتوسعه نطاقه الجغرافي (2)، والموضوعي (3)، وظهور المبادئ الأساسية الموجهة له (4)، وتعدد مظاهر الصراع والانقسام فيه (5)، و تميزه بالتقدم العملي (6).

### 1: تنوع فواعل المجتمع الدولي المعاصر

علاوة على الدول فقد تميز المجتمع الدولي المعاصر بظهور المنظمات الدولية كشخص قانوني دولي (أ)، وعدد كبير من الكيانات المستحدثة التي اختلف الفقه حول شخصيتها القانونية (ب).

#### أ: ظهور التنظيم الدولي والمنظمات الدولية

رغم أن فكرة التنظيم الدولي هي فكرة قديمة بدأت في شكل اتحادات ومكاتب، إلا أن ظهور هذه الظاهرة في العصر الحديث قد جعلت البعض يطلق عليه حقيقة عصر التنظيم الدولي، الذي تم التسليم فيه بعد إصدار منظمة الأمم المتحدة لرأيها الاستشاري الصادر في عام 1949 والخاص بتعويض موظفي الأمم المتحدة الذين راحوا ضحية للغدر اليهودي فوق فلسطين وهو يحاولون تطبيق وقف إطلاق النار بصورة فعلية إلى اعتبار المنظمات الدولية شخصا من أشخاص القانون الدولي الذي يحق له التعاقد والتملك وتقديم المطالبات الدولية وإثارة المسؤولية الدولية في مواجهة من أضر بها والتمتع بالحصانات والامتيازات الدولية وغيرها من الاعفاءات اللازمة لتحقيق مقاصدها، وهكذا نمت العلاقات الدولية وتشعبت لأن الظاهرة المميزة لها قبل ميلاد ظاهرة التنظيم الدولي هي ظاهرة الانطواء والعزلة حيث كانت كل إمبراطورية تتوجس خفية من غيرها من الإمبراطوريات الأخرى، بل وتترص بها إذا ما سنحت لها الفرصة، غير أنه منذ الحربين العالميتين الأولى والثانية أحل العالم التعاون محل التصادم والتعايش بين المصالح محل الاحتكاك ومن هنا ظهرت فكرة الصالح المشترك للدول.

وقانون التنظيم الدولي بهذا المفهوم قد بات يتجاوز كثيرا مفهوم المنظمات الدولية، فهو يشمل ويتجاوزه إلى معالجة أوضاع المجتمع الدولي، ونظمه العامة الأساسية، لأن ظهور المنظمات الدولية قد جعل القانون الدولي يتحول من قانون لحكم العلاقات بين الدول إلى قانون يحكم العلاقات الدولية وينظم المجتمع الدولي، وهكذا لم يعد المجتمع الدولي مجتمع الدول فقط، وإنما أصبح مجتمع الدول والمنظمات الدولية، وهذا ما جعل القانون الدولي ينتقل بالمجتمع الدولي من مجرد قانون لحكم العلاقات بين عدد محدود من الدول، تدور قواعده مع الدولة وجودا وعدما، إلى قانون لحكم وتنظيم المجتمع الدولي، الذي بات مجتمعا بالمفهوم الإنساني على الرغم من كل ما يدور في إطاره من مظاهر الصراع والفرقة.

#### ب: الكيانات المستحدثة في المجتمع الدولي المعاصر

إن السمة المميزة للمجتمع الدولي المعاصر هي ظهور عدد من الكيانات المستحدثة، مثل حركات التحرر الوطنية، والشركات المتعددة الجنسيات، والشعوب، والانسانية، والفرد الذي أصبح يمثل واحدا من رعايا القانون الدولي العام ويتحمل مسؤوليته فيه في مجالات كثيرة، كالقرصنة، وخرق الحصار، وانتهاك أنظمة التهريب، والاعمال الحربية غير المشروعة، وانتهاكات أحكام القانون الدولي الانساني. كما تميز المجتمع الدولي المعاصر بظهور نوع جديد من المنظمات هو المنظمات غير الحكومية التي أصبح عددها يتجاوز أضعاف عدد المنظمات الحكومية، نظرا لامتداد مجالات عملها إلى الكثير من الموضوعات التي كانت حتى وقت قريب خاضعة للقانون الداخلي، غير أن اضطلاعها بأدوار مختلفة على مستوى العالم قد جعلها شريكا فعالا للدول، ما جعل المجتمع الدولي الحديث يظهر في صورة جديدة اتسمت بتطور كبير من حيث عدد أطرافه المنافسة للدولة التي كانت هي الوحدة الدولية المستقلة التي تحتكر عضوية هذا المجتمع.

### 2: الاتساع الجغرافي للعلاقات الدولية

يقصد بالاتساع الجغرافي للعلاقات الدولية أن المجتمع الدولي لم يبق محصوراً في إقليم معين كما كان الحال عليه في المجتمع الأوروبي سابقاً، بل إن المجتمع الدولي صار مجتمعاً عالمياً شاملاً يشمل دولاً وحضارات مختلفة وثقافات متنوعة من قارات مختلفة أفريقية و آسيوية وأوروبية وأمريكية.

يرجع الاتساع الجغرافي للعلاقات الدولية إلى عاملين مرتبطين ببعضهما البعض هما: الأول منهما تمثل في إنشاء المنظمات الدولية مثل عصبة الأمم المتحدة التي ضمت في عضويتها خمسة وستون دولة، ومنظمة الأمم المتحدة التي كانت تضم سنة 1945 - 48 دولة غالبية من الدول الغربية لتصبح تضم حالياً أكثر من 194 دولة، ما جعل المجتمع الدولي مجتمعاً عالمياً تمتد فيه العلاقات إلى جميع الشعوب. كما يرجع العامل الثاني إلى استقلال الكثير من الدول التي كانت خاضعة للاستعمار، ما أدى إلى ظهور الكثير من حركات التحرر الوطنية التي أخذت على عاتقها مهمة الدفاع على حق الشعوب في تقرير مصيرها، خصوصاً وأن الكثير من المنظمات الدولية السياسية مثل منظمة الأمم المتحدة قد أصدرت الكثير من القرارات والتوصيات الدولية، وإنشأت كذلك الكثير من اللجان المناهضة للاستعمار، الأمر الذي جعل منظمة الأمم المتحدة تسهم بقسط كبير في استقلال الكثير من الدول، خاصة بعد صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة القاضي بمنح الاستقلال للشعوب والأقاليم الخاضعة للاستعمار في عام 1960 (1514). وقد كان لظهور هذا العدد الكبير من الدول الحديثة الاستقلال أثراً بعيداً على مسرح العلاقات الدولية، كونها عمدت إلى توحيد جهودها من أجل الدفاع عن مصالحها المشتركة، خصوصاً في مواجهة الدول الكبرى، والصناعية بوجه عام.

### 3: الاتساع الموضوعي للعلاقات المجتمع الدولي

يقصد بالاتساع الموضوعي للعلاقات الدولية أن هذه الأخيرة لم تعد تقتصر على المجالات السياسية فحسب، وإنما امتدت لتشمل موضوعات إنسانية أخرى كحماية الأجانب، وحقوق الإنسان، وتنظيم شؤون العمل، وحماية البيئة، والاستثمارات الأجنبية، ونشاط الشركات العابرة للحدود، والحقوق والواجبات الاقتصادية للدول، والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، ومختلف مجالات الحياة الأخرى التي لها علاقة بحياة الإنسان ونوعيتها كالعمل والصحة والغذاء والمواصلات والثقافة وغيرها من المجالات الحيوية في حياة البشر. كما اتسعت العلاقات الدولية في مجال استكشاف واستغلال الفضاء وقاع البحار والمحيطات، والاستعمال السلمي للطاقة الذرية.

### 4: ظهور المبادئ المنظمة للمجتمع الدولي

إن المبادئ المنظمة للمجتمع الدولي المعاصر كثيرة ومتعددة، نذكر منها: مبدأ المساواة بين الدول، ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية، ومبدأ احترام سيادة الدولة، ومبدأ حظر استخدام القوة والتهديد بها، ومبدأ التعايش السلمي بين الدول، ومبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومبدأ احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للأفراد، ومبدأ المسؤولية الدولية، وغيرها من المبادئ الأخرى التي حازت على موافقة إجماع الدول نظرياً على الأقل. وهي جعلت المجتمع الدولي المعاصر يعرف قانوناً دولياً معاصراً، مختلفاً في أسسه و منطلقاته، وفي نطاقه، وأساليبه الفنية، عن ذلك القانون الدولي التقليدي الذي سعى من خلال محاور متعددة إلى حكم جميع العلاقات الدولية، التي تدور على مسرح الحياة الدولية، خصوصاً وأن إنشاء المنظمات الحكومية قد خفف من حجم الفوضى الدولية، وأدى إلى تطوير مجالات التعاون، ما جعل المبادئ المنظمة للمجتمع الدولي تجعل منه مجتمعاً منظماً محكوماً بنظام قانوني معين، يتضمن مجموعة من القواعد التي تسري على أحكامه بهدف تنظيم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي عن طريق الاتفاقيات والمعاهدات والمؤتمرات الدولية التي كانت تهدف إلى إرساء التعاون بين الدول.

### 5: تعدد مظاهر الصراع والانقسام في المجتمع الدولي المعاصر

تميز المجتمع الدولي المعاصر في القرن العشرين بكونه مجتمع مجزأ ومقسم، وهذا الانقسام قد أخذ أشكالاً مختلفة منها: الانقسام الأيديولوجي (أ)، والانقسام الاقتصادي (ب)، والانقسام العسكري (ت).

#### أ: الانقسام الايديولوجي للمجتمع الدولي المعاصر

يقصد بالانقسام الايديولوجي للعالم ذلك الانقسام الأفقي بين الدول الرأسمالية برعاية الولايات المتحدة من جهة و الدول الشيوعية برعاية الاتحاد السوفياتي من جهة أخرى، لأن نجاح الثورة الاشتراكية في روسيا قد أدى إلى إقامة دول على أساس نظريات ماركس ولينين، وقد شكلت في أعقاب الحرب العالمية الثانية معسكرا دوليا تحت زعامة الاتحاد السوفياتي، ما جعل المجتمع الدولي في القرن العشرين يتميز بولادة نظام الثنائية القطبية، الذي فرض على بعض الدول غير المنحازة أو المحايدة التكتل في شكل جديد في إطار ما سمي بدول عدم الانحياز، ما جعل نظام الثنائية القطبية يوجد ثلاثة أطراف تعمل في نطاق المجتمع الدولي، كل طرف فيها يعمل على استخدام وسائل الاقتناع والردع للوصول إلى استقراره وتفوقه وتلاحمه العسكري.

#### ب: الانقسام الاقتصادي للمجتمع الدولي المعاصر

يقصد بالانقسام الاقتصادي للعالم ذلك الانقسام العمودي الذي ميز بين الدول الشمالية الغنية المتطورة التي تستولي على 80% من الثروات، وهي تمثل 25% من سكان العالم، ودول الجنوب الفقيرة المتخلفة التي تضم حوالي 140 دولة، والتي أطلق عليها مسمى دول العالم الثالث لتمييزها عن البلدان الشيوعية والغربية، غير أن استخدام هذا التعبير أصبح شائعا ومقبولا، وله تواجد سائد وعملي، كون العالم الثالث قد أصبح لأول مرة وبصفة قانونية طرفا في معادلة المجتمع الدولي، كما أنه أصبح بصفته هذه يطرح مطالب جديدة على المجتمع الدولي ويفرض نفسه على المنظمات الدولية ومؤسساتها، لأن هذا العالم كان قد برز ككتلة وكمصطلح بعد مؤتمر باندونغ لدول عدم الانحياز، كما ظهر ككتلة بعد الستينات حينما استقلت العديد من الدول التي كانت خاضعة للاستعمار الغربي، ما جعل دول العالم الثالث تكون موضوع تسميات مختلفة، فقد سميت بالدول النامية، أو المتخلفة، أو السائرة في طريق النمو، أو التابعة، أو حديثة الاستقلال، وفي عام 1956 ألف الأستاذ الفريد سوفي كتابا تحت عنوان "العالم الثالث والتنمية والتخلف". وقد استحسنت عبارته لكونها تعكس الواقع الاقتصادي والاجتماعي لهذه الدول، والطابع الايديولوجي الذي يصبغها، لأن كلمة العالم الثالث تعني ضمينا وجود عالم أول هو العالم الغربي الرأسمالي، وعالم ثاني هو العالم الشرقي وكلاهما متطور ولكن بدرجات متفاوتة، لأن نجاح الثورة الاشتراكية في روسيا عام 1917 قد جعل القانون الدولي التقليدي يواجه تحدي أيديولوجي غير مسبوق، كونه كان يحكم وينظم العلاقات بين الدول التي تأخذ بذات الأفكار الفلسفية والمذهبية، غير أن مبادئ الثورة الاشتراكية قد انطوت على تهديد لفكرة الدولة، والفكرة الوطنية التي تعد من الأسس الرئيسة للقانون الدولي، غير أنها قد أسفرت في النهاية على نشأة دول جديدة تعايشت مع غيرها من الدول الوطنية في إطار المجتمع الدولي المعاصر.

#### ت: الانقسام العسكري للمجتمع الدولي المعاصر

يقصد بالانقسام العسكري للمجتمع الدولي المعاصر انقسام دول العالم إلى أحلاف عسكرية، كحلف شمال الأطلسي 1949، وحلف وارسو 1955، وهذه الأحلاف هي في الحقيقة صورة من صور الحرب الباردة، لأن الناتو فعل عسكريا ما فعله مخطط مارشال من تقسيم أوروبا إلى معسكرين، وهذا ما جعل السوفيات ينشؤون حلف وارسو كرد فعل على ذلك.

#### 6: التقدم العلمي للمجتمع الدولي المعاصر

مما لا شك فيه أن التقدم العلمي الذي شهده المجتمع الدولي المعاصر قد بات سمة من السمات البارزة في هذا العصر، ولا شك أن تطور المواصلات وغزو الفضاء واستغلال الثروات الباطنية في اليابسة والبحار، قد أدى إلى تطور قواعد القانون الدولي وجعلها تتفق مع هذا التقدم.

تكمن أهمية التقدم العلمي بما نجم عنه من وسائل النقل والاتصال في إحداث نمو كبير في حجم العلاقات الدولية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، كما تكمن أهميته في إحاطة الانسان بالأحداث التي تدور في بقاع العالم فور وقوعها. ومن الناحية السلبية فقد استخدمت منجزات التقدم العلمي في الحروب العالمية وغيرها من الحروب الأخرى، فأحدثت دمارا شاملا، ما جعلت الانسانية تتوجس من خطر استخدام الأسلحة النووية والهدروجينية في أية حرب مقبلة.

ثانيا:

### مجتمع الأمر الواقع المعاصر

منذ سنة 1988 بدأت معالم السلم العام العالمي تبرز في آفاق المجتمع الدولي المعاصر نتيجة تقارب المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، مما أدى إلى تسوية بعض القضايا الساخنة، كالحرب العراقية الايرانية (1980-1988)، والحرب الأهلية في تشاد (1979-1988)، وانسحاب قوات الاتحاد السوفياتي من أفغانستان (1979-1988)، وهذه أحداث تبين أن السنوات السابقة لسنة 1990 قد حدث فيها تقارب بين المعسكرين الشرقي والغربي، إلا أنها لم تمنع من تفكك المعسكر الشيوعي الاشتراكي(1)، ما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تحكم معظم العلاقات الدولية القائمة بين أشخاص القانون الدولي من دول ومنظمات دولية على أسس سياسية، واقتصادية، وقانونية، وفق الفلسفة النظرية التي جاء بها الرئيس الأمريكي بوش مشيرا فيها إلى تعبير النظام الدولي الجديد(2)، كنمط جديد لم يتبلور ملامحه القانونية على نحو كاف، رغم قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتكثيف نشاطاتها مستخدمة الإمكانيات المتاحة لها من أجل قيادة العالم(3).

#### 1: تفكك المعسكر الشيوعي

إن انهيار المعسكر الشيوعي قد أدى إلى تعديل تركيبة المجتمع الدولي(أ)، واختفاء الصراع بين الشرق والغرب (ب)، واشتداد الصراع بين الشمال والجنوب(ت).

#### أ: دور تفكك المعسكر الشيوعي في تعديل تركيبة المجتمع الدولي

يقصد بتفكك المعسكر الشيوعي تفكك الإمبراطورية السوفياتية، وانقسام تشيكو سلوفاكيا إلى دولتين (دولة التشيك ودولة سلوفاكيا)، وانقسام يوغسلافيا إلى مجموعة من الجمهوريات، وهذا ما جعل عدد أعضاء الأمم المتحدة يصل إلى 186 عضوا بعدما كان حوالي 160 عضوا في نهاية السبعينات، وحوالي 50 عضوا في نهاية الحرب العالمية الثانية، وحوالي 30 عضوا في نهاية الحرب العالمية الأولى.

#### ب: دور تفكك المعسكر الشيوعي في اختفاء الصراع بين الشرق والغرب

إن تفكك المعسكر الشيوعي قد جعل أغلب الدول الاشتراكية تتبع الاتحاد السوفياتي في تبني النظام الرأسمالي، وبذلك بدا عهدا جديدا خاليا من الصراع الايديولوجي الثنائي، وفي الوقت نفسه اعتبر ذلك انتصارا للمعسكر الغربي وانهزاما ودحرا للمعسكر الشرقي، وعودة إلى مرحلة السيطرة على دول وشعوب العالم من قبل الدول الأوروبية الرأسمالية تحت إشراف وتوجيه الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما جعل البعض يعتبر هذا الانهيار نوعا من الهيمنة الأمريكية على العالم، واعتبرها البعض الآخر عملية تحول وانتقال جذري من نظام قديم إلى نظام جديد يختلف عنه كليا، في حين رأى البعض الآخر أن هذا النظام الجديد ما هو إلا تطور في الأسلوب المنتهج بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا التحول لا يشكل تحولا جذريا، وأيا كان الأمر فتفكك الاتحاد السوفياتي وانتهاء دوره كقطب في عالم الحرب الباردة، قد جعل الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد بمكان الصدارة، في النظام العالمي الجديد الذي لم يتبلور ملامحه بعد على نحو كاف، متسلحة بقوة اقتصادية هائلة، وترسانة عسكرية لم يسبق لها مثيل، ما جعلها تخلق أوضاعا غير معتادة في العلاقات الدولية، وهذا ما أدى إلى ذبوع الأنماط الأمريكية بصفة خاصة، والغربية بصفة عامة، وقد اقترن ذلك بسعي أمريكي حثيث في إطار ما يعرف بظاهرة العولمة.

ت: دور تفكك المعسكر الشيوعي في اشتداد الصراع بين الشمال والجنوب

إن تفكك المعسكر الشيوعي قد جعل المجتمع الدولي يعيش مرحلة جديدة اختفى فيها الصراع بين الشرق والغرب ويحتد فيها صراعا آخريين الشمال والجنوب، وهو صراع يعني استمرار المعاناة البشرية ومشاكلها ولكن في أشكال وأحجام مختلفة عن مشاكل ومعاناة المنتصف الأول من القرن العشرين أو أكثر بقليل.

## 2: المفهوم الأمريكي للنظام العالمي الجديد

المفهوم الأمريكي للنظام العالمي الجديد هو المفهوم الذي عدد فيه الرئيس الأمريكي بوش في 11 سبتمبر 1990 على منصة الكونغرس أهداف الولايات المتحدة من حربها ضد العراق: انسحاب قوات الاحتلال، إقامة حكومة شرعية، إقامة نقاط أمريكية للحفاظ على الأمن والاستقرار وحماية المواطنين الأمريكيين، كما ذكر إلى جانب هذه الأهداف الأربعة هدفا خامسا هو النظام العالمي الجديد الذي يتحرر فيه العالم من تهديد الإرهاب، ويكون أقوى في البحث عن العدالة، وأوثق في نشر السلم بطريقة تكون فيها أمم العالم شرقا وغربا جنوبا وشمالا تحيا في رفاهية وانسجام". كما عبر الرئيس الأمريكي جورج وركربوش عن الرسالة التي ستضطلع بها الولايات المتحدة الأمريكية من أجل قيادة العالم نحو الأحسن بقوله: "إن الولايات المتحدة الأمريكية ستستفيد من الإمكانيات المتاحة لها في هذا الطرف لتعميم مزايا الحرية في العالم بأسره، كما ستعمل على ايصال الديمقراطية، والتنمية، والأسواق الحرة والتبادل الحر، إلى مختلف أنحاء العالم".

## 3: دور الممارسة الدولية في تحديد قواعد النظام العالمي الجديد

إن المفاهيم التي جاء بها الرئيس الأمريكي جورج وركربوش تدل على أن النظام العالمي الجديد هو نظام يدل على أمرواقع تمثل في انهيار تجربة "الاشتراكية الواقعية" وترك المجال لنمط جديد من العلاقات الدولية يعصب تحديد نموذج لها، نظرا لعدم اتفاق أعضاء الجماعة الدولية على قواعد قانونية تحكم هذا النظام العالمي الجديد الأمريكي النشأة، الذي اعتبرناه مجرد تصرف انفرادي غير ملزم للدول والمنظمات الدولية، وهذا ما جعل الممارسة الدولية في مرحلة النظام العالمي الجديد تكشف عن بعض التغيرات الجذرية الحاصلة في المفاهيم التي كانت سائدة في العلاقات الدولية قبل تفكك الاتحاد السوفياتي، ففي الاجتماع الذي عقده أعضاء مجلس الأمن يوم 31 جانفي 1991 سجل أعضاء مجلس الأمن بيانا جاء فيه أن هناك ظروفًا دولية جديدة مواتية لكي يضطلع مجلس الأمن في ظلها بفعالية أكثر في حفظ السلم والأمن الدوليين، ما جعل التوازنات التي أرساها مؤتمر يالطا في أعقاب الحرب العالمية الثانية لتحكم منظمة الأمم المتحدة تنتهي، وهذا ما أدى إلى ظهور مفاهيم جديدة كمفهوم الدفاع الشرعي الوقائي، ومفهوم الحرب على الإرهاب، رغم أن ميثاق الأمم المتحدة قد نص صراحة على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية، وحضر استخدام القوة، والحفاظ على السلم والأمن الدوليين من خلال تدابير الأمن الجماعي المنصوص عليها في الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.